المجموعة التاريخية للصغار

عجائب رحلة ابن بطوطة

المهديّ الدّجالُ

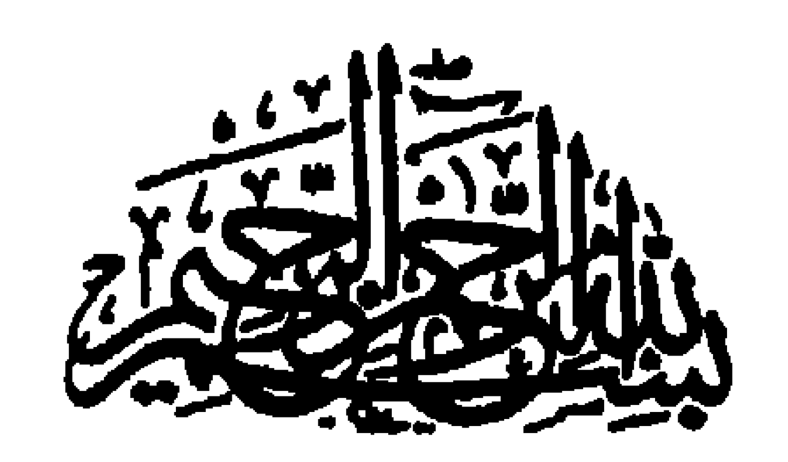


إعداد

عبد القادر محمد مايو

مراجعة

أحمد عبد الله فرهود



منشورات

دار القلم العربي

الطبعة الأولى

مضبوطة ومشكولة

1423 هـ - 2003 م

عنوان الدار:

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي ص.ب: 78

هاتف 3 2213129 / 2269599 فاكس: 2212361 21 963+

email : qalamrab@scs-net.org

المَهْدِيُّ الدَّجَّالُ

قَالَ السُّلْطَانُ أَبُو عِنَانٍ لِلرَّحَّالَةِ الأَمِينِ ابْنِ بَطُّوطَةَ :

ـ هَاتِ حَدِّثْنَا عَمَّا جَرَىٰ لَكَ ، وَعَمَّا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ مِنَ العَجَائِبِ مُذْ كُنْتَ فِي حَلَبَ ، وَقَدْ خَصَصْتَ مُعْظَمَ حَدِيثِهَا وَأَطْرَافَهُ عَنْ قَلْعَتِهَا الشَّامِخَةِ الَتِي بَاتَ لَهَا ضَمِيرٌ وَذَاكِرَةٌ . .

قَالَ الرَّحَّالَةُ ابْنُ بَطُّوطَةَ :

ـ سَأُحَدِّثُكَ يَا مَوْلَايَ السُّلْطَانَ هَذِهِ المَرَّةَ عَنْ عَجَائِبِ مَا مَرَّ بِي وَمَا حَدَّثَنِي بِهِ النَّاسُ فِي سَوَاحِلِ بِلَادِ الشَّامِ المُبَارَكَةِ التِي بَارَكَ اللهُ فِيهَا بِدُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ . .

٦ ـ المهدي الدجال

قَالَ السُّلْطَانُ أَبُو عِنَانٍ :

ـ اكْتُبْ يَا بْنَ جُزِّيٍّ ، بَارَكَ اللهُ فِي هِمَّتِكَ .

وَانْطَلَقَ الرَّحَّالَةُ ابْنُ بَطُّوطَةَ يَقُولُ :

سَافَرْتُ مِنْ مَدِينَةِ حَلَبَ إِلَىٰ مَدِينَةِ تِبْزِينَ ، وَهِيَ عَلَىٰ طَرِيقِ قِنِّسْرِينَ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ كَبِيرَةٌ خَرَّبَتْهَا الظُّرُوفُ وَالزُّحُوفُ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ رُسُومٌ وَمَعَالِمُ تَشْهَدُ بِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ . . ثُمَّ سَافَرْتُ إِلَىٰ مَدِينَةِ أَنْطَاكِيَةَ وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ أَصِيلَةٌ ، وَكَانَ عَلَيْهَا سُورٌ مُحْكَمٌ لاَ نَظِيرَ لَهُ فِي أَسْوَارِ بِلاَدِ الشَّام فَلَمَّا فَتَحَهَا المَلِكُ الظَّاهِرُ أَمَرَ بِتَهْدِيمِهِ لِئَلاَّ يَكُونُ لِلْكُفَّارِ مُعْتَصَماً وَحِمَايَةً . . وَقَدْ دُهِشْتُ بِمَا فِي انْطَاكِيَةِ مِنْ كَثْرَةِ العِمَارَةِ وَحُسْنِ البِنَاءِ ، وَكَثْرَةِ الأَشْجَارِ وَالمِيَاهِ ، وَبِخَارِجِهَا نَهْرُ العَاصِي . وَفِيهَا مِنْ خِيرَةِ الرِّجَالِ المُعَمِّرِينَ مَنْ نَوَّفَ عُمُرُهُ عَلَىٰ الثَّمَانِينَ ، وَهُوَ مَا يَزَالُ فِي هِمَّةِ ابْنِ العِشْرِينَ .

وَسَافَرْتُ مِنْ أَنْطَاكِيَةَ إِلَىٰ حِصْنِ بَغْرَاسَ ، وَهُوَ حِصْنٌ مَنِيعٌ لاَ يُرَامُ تَحُفُّ بِهِ البَسَاتِينُ وَالمَزَارِعُ ، وَمِنْهُ يُدْخَلُ إِلَىٰ بِلاَدِ سِيسَ التِي يَسْكُنُهَا

الأَرْمَنُ ، وَقَدْ دَانُوا لِلمَلِكِ النَّاصِرِ يُؤَدُّونَ إِلَيْهِ الأَمْوَالَ وَالدَّرَاهِمَ مِنَ الفِضَّةِ الخَالِصَةِ المُمْتَازَةِ .

قَالَ الرَّحَّالَةُ ابْنُ بَطُّوطَةَ :

ـ وَلاَ عَلَيْكَ يَا مَوْلاَيَ مِنْ كَثْرَةِ الحُصُونِ التِي مَرَرْتُ بِهَا فِي طَرِيقِي إِلَىٰ مَدِينَةِ جَبْلَة مِنْ سَواحِلِ بِلاَدِ الشَّامِ، وَأَذْكُرُ مِنْهَا حُصُونَ القُصَيْرِ وَالقَدْمُوْسِ وَالمَيْنَقَةَ وَمِصْيَافَ . . وَمُعْظَمُ هَذِهِ الحُصُونِ يَلُوذُ بِهَا أَهْلُ طَائِفَةٍ تُعْرَفُ بِالفِدَّاوِيَّةِ ، وَلاَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الحُصُونِ المَنِيعَةِ فِي رؤُوسِ الجِبَالِ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِ مِلَّتِهِمْ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُم يُسْتَأْجَرُونَ مِنْ قِبَلِ المُلُوكِ لاغْتِيَالِ مَنْ يُرِيدُونَ اغْتِيَالَهُ مِنْ أَعْدَائِهِمْ لِقَاءَ مَالٍ جَزِيلٍ ، وَهَؤُلاءِ الفِدَّاوِيَّةُ لَهُمْ سَكَاكِينُ مَسْمُومَةٌ يَضْرِبُونَ بِهَا مَنْ بُعِثُوا إِلَىٰ قَتْلِهِ . .

هُنَا قَاطَعَ السُّلْطَانُ أَبُو عِنَانٍ مُحَدِّثَهُ ابْنَ بَطُّوطَةَ :

ـ لَعَلَّكَ يَا ابْنَ بَطُّوطَةَ قَدْ اخْتَصَرْتَ كَثِيراً مِنَ الأَعَاجِيبِ التِي تَسْتَحِقُّ فَهَلْ لَكَ أَنْ تُحَدِّثَنَا بِحَدِيثٍ أَوْ قِصَّةٍ أَوْخَبَرٍ مِمَّا سَمِعْتَهُ أَوْ مِمَّا جَرَىٰ لَكَ فِي تِلْكَ البِلادِ ؟ .

أَجَابَ الرَّحَّالَةُ ابْنُ بَطُّوطَةَ :

ـ لِيَعْلَمْ مَوْلَايَ السُّلْطَانُ أَبُو عِنَانٍ أَنَّنِي مَا اخْتَصَرْتُ مَا اخْتَصَرْتُ إِلاَّ لأُحَدِّثَهُ بِعَجِيبَتَيْنِ مِنْ أَعْجَبِ القِصَصِ ، وَهُمَا حِكَايَتَا أَدْهَمَ الزَّاهِدِ ، وَالمَهْدِيِّ الدَّجّالِ وَهِيَ أَعْجَبُ الحِكَايَاتِ التِي تَذْكُرُهَا جَبْلَةٌ . وَأَرْجُو مِنْ مَوْلَايَ السُّلْطَانِ أَنْ يُسْبِغَ عَلَيَّ مِنْ حِلْمِهِ قَلِيلاً ، حَتَّىٰ أُوَافِيَهُ بِمَا يُعْجِبُهُ .

قَالَ السُّلْطَانُ أَبُو عِنَانٍ :

ـ لَكَ ذَلِكَ يَا ابْنَ بَطُّوطَةَ ، ودَعْ كَاتِبَنَا ابْنَ جُزَيٍّ لِيَسْتَرِيحَ قَلِيلاً مِنْ عَنَاءِ الكِتَابَةِ .

قَالَ الكَاتِبُ ابْنُ جُزِّيٍّ :

ـ أَنَا عِنْدَ أَمْرِ مَوْلاَيَ وَمَرْضَاتِهِ ، وَالحَقِيقَةُ أَنَّ التَّعَبَ فِي سَبِيلِ رِضَاكُمْ رَاحَةٌ وَرِزْقٌ مُكْتَسَبٌ لأَنَّهُ يَسِيلُ مِنْ يِدَيْ رَجُلٍ كَرِيمٍ . .

هُنَا ، تَنَحْنَحَ السُّلْطَانُ أَبُو عِنَانٍ لِيَمْنَعَ ابْنَ جُزِّيٍّ مِنَ الاسْتِرْسَالِ فِي المَدِيحِ ، وَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ يِسْتَدْعِي الحَاجِبَ فَلَمَّا مَثَلَ بِيْنَ يِدَيْهِ أَمَرَهُ بِإِحْضَارِ بِعْضِ الفَاكِهَةِ وَالنُّقُولِ لِيَجْعَلَ اسْتِرْاحَتَهُمْ اسْتِرَاحةً مُسَلِّيَةً بِمَا يَشْغَلُ الفَمَ وَيَبُلُّ الرِّيقَ .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ قَالَ السُّلْطَانُ أَبُو عِنَانٍ :

ـ هَاتِ يَا ابْنَ بَطُّوطَةَ ، حَدِّثْنَا بِخَبَرِ . . بِخَبَرِ الرَّجُلِ الزَّاهِدِ أَوَّلاً . .

قَال ابْنُ بَطُّوطَةَ :

ـ سَمْعاً وَطَاعةً يَا مَوْلاَيَ السُّلْطَانَ .

قَالَ :

ـ لَمَّا كُنْتُ يَا مَوْلَايَ عَلَىٰ بُعْدِ مِيلٍ مِنْ مَدِينَةِ جَبْلَةَ ، دَخَلْتُ مَنْطِقَةً ذَاتَ أَشْجَارٍ وَأَنْهَارٍ ، يَشُقُّهَا طَرِيقٌ حَافِلٌ بِالقَاصِدِينَ فَتَبِعْتُ خُطَاهُمْ ، فَإِذَا أَنَا أَمَامَ مَشْهَدٍ ضَخْمٍ بِهِ قَبْرُ وَلِيٍّ صَالِحٍ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ . وَكَانَ فِي خِدْمَةِ المَزَارِ حَاجِبٌ طَلْقُ المُحَيَّا وَالأَسَارِيرِ ، فَلَمَّا خَفَّ وُفُودُ النَّاسِ المُتَبَرِّكِينَ اجْتَمَعْتُ بِهِ فِي جَانِبٍ مِنَ المَكَانِ ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهِ أَنْ يُحَدِّثَنِي بِخَبَرِ صَاحِبِ القَبْرِ الذِي اتُّخِذَ مَزَاراً وَمَحَجّاً ، فَقَالَ لِي : إِنَّهُ قَبْرُ الوَلِيِّ الصَّالِحِ الشَّهِيرِ إبْرَاهِيمَ ابْنِ أَدْهَمَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْ أَبِيهِ . وَإِبْرَاهِيمُ هَذَا هُوَ الذِي وَرِثَ مُلْكاً وَلَكِنَّهُ نَبَذَهُ نَبْذاً وَآثَرَ أَنْ يَنْقَطِعَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ . عَلَىٰ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَيْتِ مُلْكٍ كَمَا يَظُنُّهُ النَّاسُ ، وَإِنَّمَا وَرِثَ المُلْكَ عَنْ جَدِّهِ أَبِي أُمِّهِ عَلَىٰ إِثْرِ حَادِثَةٍ مِنْ أَعْجَبِ الحَوَادِثِ بَيْنَ البَشَرِ الأَتْقِيَاءِ الصَّالِحِينَ ، وَهُمْ قِلَّةٌ ، خَصَّهُمُ اللهُ بِهُدَاهُ وَفَضْلِهِ فَاسْتَحَقُّوا أَنْ يَكُونُوا خَيْراً لِلنَّاسِ وَبَرَكَةً .

قُلْتُ لِمُحَدِّثِي خَادِمُ المَزَارِ : لَقَدْ شَوَّقْتَنِي لِسَمَاعِ حِكَايَةِ الدَّفِينِ إِبْرَاهِيمَ مَعَ حِكَايَةِ أَبِيهِ أَدْهَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا . قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَدْهَمُ يَقْطُنُ فِي مَدِينَةِ بُخَارَىٰ مِنْ مُدُنِ خُرَاسَانَ ، فَمَرَّ يَوْماً بِأَحَدِ

البَسَاتِينِ حَوْلَ المَدِينَةِ وَتَوَضَّأَ مِنْ مَاءِ نَهْرٍ كَانَ يَعْبُرُ البَسْتَانَ ، وَلَمْ يَكَدْ يَفْرَغُ مِنْ وُضُوئِهِ حَتَّىٰ سَقَطَتْ تُفَّاحَةٌ مِنْ شَجَرَةِ تُفَّاحٍ كَانَتْ فَوْقَ النَّهْرِ فَاشْتَهَاهَا وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : هَذِهِ التُّفَّاحَةُ مِنْ نَصِيبِي ، وَلاَ حَرَجَ مِنْ أَكْلِهَا . فَأَكَلَهَا . وَلَمْ تَكَدِ التُّفَّاحَةُ المُتَاحَةُ تَسْتَقِرُّ فِي مَعِدَتِهِ حَتَّىٰ وَقَعَ فِي خَاطِرِهِ مِنْ ذَلِكَ وَسْوَاسٌ عَظِيمٌ بِأَنَّ التُّفَّاحَةَ لَيْسَتْ مِنْ حَقِّهِ ، وَلاَ مِنْ حَلاَلِهِ ، وَلاَبُدَّ مِنِ اسْتِسْمَاحِ صَاحِبِ البُسْتَانِ لِيُحَلِّلَ لَهُ مَا أَكَلَ مِنْ مَالِهِ .

وَمَضَىٰ أَدْهَمُ الصَّالِحُ يَبْحَثُ عَنْ صَاحِبِ البُسْتَانِ فَاسْتَدَلَّ عَلَىٰ مَنْزِلٍ قَرِيبٍ ، فَقَرَعَ بَابَهُ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ ، فَقَالَ لَهَا : ادْعِي لِي صَاحِبَ المَنْزِلِ ، فَقَالَتْ : إِنَّهُ لامْرَأَةٍ ، فَقَالَ اسْتَأْذِنِي لِي عَلَيْهَا ، فَفَعَلَتْ ، فَلَمَّا أَذِنَتْ لَهُ حَدَّثَهَا بِخَبَرِ التُّفَّاحَةِ التِي اسْتَجَازَ لِنَفْسِهِ أَكْلَهَا مِنْ دُونِ حَقٍّ ، وَطَلَبَ إِلَيْهَا أَنْ تُسَامِحَهُ أَوْ أَنْ تُقِيلَهُ مِنَ الحَرَامِ بِأَخْذِ ثَمَنِهَا مَهْمَا بَلَغَ . فَقَالَتْ لَهُ المَرْأَةُ : إِنَّ هَذَا البُسْتَانَ نِصْفُهُ لِي وَنِصْفُهُ الآخَرُ لِلسُّلْطَانِ ، وَكَانَ مَقَرُّ السَّلْطَنَةِ فِي مَدِينَةِ بَلْخٍ عَلَىٰ سَفَرِ عَشْرَةِ أَيَّامٍ مِنْ بُخَارَىٰ حَيْثُ البُسْتَانُ ، فَسَأَلَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ المَرْأَةَ أَنْ تُحِلَّهُ مِنْ أَكْلِ نِصْفِ التُّفَّاحَةِ فَأَحَلَّتْهُ . وَمَضَىٰ فِي سَبِيلِهِ إِلَىٰ بَلْخٍ فَلَمَّا دَخَلَهَا بَعْدَ جُهْدٍ وَمَشَقَّةٍ

تَصَادَفَ عُبُورُ مَوْكِبِ السُّلْطَانِ فَاعْتَرَضَهُ ، وَكَادَ حُرَّاسُ المَوْكِبِ يُؤْذُونَهُ لَوْلاَ أَنْ أَذِنَ لَهُ السُّلْطَانُ بِأَنْ يُفْضِيَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِهِ ، فَأَبْدَىٰ اسْتِعْدَادَهُ لِمُسَامَحَتِهِ فِي نِصْفِ التُّفَّاحَةِ ، وَلَكِنَّهُ طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ فِي قَصْرِهِ مِنَ الغَدِ .

وَكَانَ لِلسُّلْطَانِ بِنْتٌ رَائِعَةُ الجَمَالِ تَكَاثَرَ مِنْ حَوْلِهَا الخُطَّابُ مِنْ أَبْنَاءِ المُلُوكِ وَالأُمَرَاءِ وَلَكِنَّهَا تَمَنَّعَتْ وَأَبَتْ وَحُبِّبَتْ إِلَيْهَا العِبَادَةُ وَتَسَقُّطُ أَخْبَارِ الصَّالِحِينَ ، وَأَبْدَتْ أَنَّهَا لاَتُحِبُّ أَنْ تَتَزَوَّجَ إِلاَّ مِنْ رَجُلٍ صَالِحٍ وَرِعٍ زَاهِدٍ فِي الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا .

فَلَمَّا عَادَ السُّلْطَانُ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ ، أَخْبَرَ ابْنَتَهُ التَّقِيَّةَ النَّقِيَّةَ بِحَدِيثِ أَدْهَمَ الزَّاهِدِ ، وَقَالَ لَهَا : مَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَشَدَّ وَرَعاً مِنْ هَذَا الرَّجُلِ ، يَأْتِي مِنْ بُخَارَىٰ إِلَىٰ بَلْخٍ لأَجْلِ نِصْفِ تُفَّاحَةٍ ، فَأَبْدَتِ الفَتَاةُ رَغْبَتَهَا فِي أَنْ تَتَزَوَّجَهُ بِإِذْنِ أَبِيهَا السُّلْطَانِ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فِي الغَدِ قَالَ لَهُ : اعْلَمْ

أَنَّنِي لاَ أُحِلُّكَ مِنْ نِصْفِ التُّفَّاحَةِ إِلاَّ إِذَا تَزَوَّجْتَ ابْنَتِي ، وَهِيَ مِثْلُكَ ذَاتُ تَقْوَىٰ وَصَلاَحٍ .

انْصَاعَ أَدْهَمُ الصَّالِحُ إِلَىٰ رَغْبَةِ السُّلْطَانِ بَعْدَ اسْتِعْصَاءٍ وَتَمَنُّعٍ فَتَزَوَّجَ مِنْهَا ، وَخَلاَبِهَا لَيْلَةً وَاحِدَةً وَاخْتَارَهُ الله إِلَىٰ جِوارِهِ بَعْدَ أَنْ حَمَلَتْ مِنْهُ بِوَلَدِهَا إِبْرَاهِيمَ . وَلَمَّا كَانَ سُلْطَانُ بَلْخٍ بِلاَ عَقِبٍ مِنَ الذُّكُورِ اخْتَارَ سِبْطَهُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ لِيَكُونَ وَلِيّاً لِعَهْدِهِ . وَلَمَّا شَبَّ إِبْرَاهِيمُ عَلَىٰ مَنْهَجِ أَبِيهِ فِي التَّقْوَىٰ وَالزُّهْدِ تَخَلَّىٰ عَنِ المُلْكِ ، وَسَاحَ فِي البِلاَدِ إِلَىٰ أَنْ كَانَتْ نِهَايَتَهُ وَوَفَاتَهُ ، وَكَانَ مَدْفَنُهُ هَاهُنَا فِي نَاحِيَةٍ مِنْ مَدِينَةِ جَبْلَةَ . . وَهَاهُنَا زَاوِيَةٌ يَقْصِدُهَا الكَثِيرُونَ مِنْ سَائِرِ أَقْطَارِ الشَّامِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ وَيُهْدِي كُلٌّ مِنْهُم إِلَىٰ المَزَارِ شَمْعَةً ، وَيَجُودُ بِمَا تَيَسَّرَ لَهُ فِي إِكْرَامِ الخَادِمِ المُسَخَّرِ لِوَلِيِّ الله .

قَالَ السُّلْطَانُ أَبُو عِنَانٍ لِمُحَدِّثِهِ الرَّحَّالَةِ ابْنِ بَطُّوطَةَ :

ـ حَقّاً إِنَّهَا لَقِصَّةٌ عَجِيبَةٌ ، لَو كُتِبَتْ بِرُؤُوسِ الإِبَرِ عَلَىٰ آمَاقِ البَصَرِ

لَكَانَتْ عِبْرَةً لِمَنْ اعْتَبَرَ . . اكْتُبْ يَا ابْنَ جُزَيٍّ ، اكْتُبْ ، بَارَكَ اللهُ فِيكَ . . وَالآنَ يَابْنَ بَطُّوطَةَ مَاذَا عَنِ المَهْدِيِّ الدَّجَّالِ الذِي وَعَدْتَنَا بِخَبَرِهِ العَجِيبِ ؟ !

قَالَ ابْنُ بَطُّوطَةَ :

أَمَّا عَنْ خَبَرِ المَهْدِيِّ الدَّجَّالِ فَقَدْ حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ جَبْلَةَ ، وَذَكَرَ لِي أَنَّ رَجُلاً مَجْهُولاً حَلَّ فِي دِيَارِهِمْ فَاسْتَغَلَّ جَهْلَهُمْ وَطِيبَةَ قُلُوبِهِمْ وَبُعْدَهُمْ عَنِ الدِّينِ ، وَاعْتِزَالَهُم فِي وَعْرٍ مِنَ الأَرْضِ وَالجِبَالِ وَادَّعَى فِيهِم أَنَّهُ رَسُولٌ جَاءَ لِهِدَايَتِهِم وَإِنْصَافِهِمْ مِنْ مَظَالِمِ مَنْ حَوْلَهُمْ ، وَوَعَدَهُم بِتَمَلُّكِ البِلَادِ وَالتَّحَكُّمِ بِرِقَابِ العِبَادِ . وَبَلَغَ مِنْ دَهَائِهِ وَمَكْرِهِ أَنَّهُ قَرَنَ أَسْمَاءَ أَتْبَاعِهِ وَصُوَرَهُمْ بِوَرَقِ أَشْجَارِ الزَّيْتُونِ فَكَانَ يَقُولُ لأَحَدِهِمْ : اذْهَبْ وَأَحْضِرْ لِي وَرَقَةً مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، فَلَقَدْ كُتِبَ عَلَيْهَا أَمْرُ تَكْلِيفِكَ وَتَشْرِيفِكَ . وَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا ذَهَبَ وَجَاءَهُ بِوَرَقَةٍ مِنْ شَجَرَةِ الزَّيْتُونِ يَقُولُ المَهْدِيُّ المُدَّعِي : هَاتِ غَيْرَهَا وَغَيْرَهَا وَهُوَ يُوهِمُهُ بِقِرَاءَةٍ جَادَّةٍ وَتَطَلُّعٍ فِي وَجْهِهِ لاسْتِقْرَاءِ المَكْتُوبِ فِيهَا مُقْتَرِناً بِاسْمِ صَاحِبِهَا المَخْدُوعِ وَبِصُورَةِ وَجْهِهِ ، وَمَايَزَالُ الدَّجَّالُ يُجْهِدُ قَاصِدَهُ بَيْنَ

خُذْ وَهَاتِ حَتَّىٰ يَمْنَحَهُ وَرَقَةَ التَّكْلِيفِ قَائِلاً لَهُ : تَوَجَّهْ إِلَىٰ البَلَدِ الفُلاَنِيِّ ، فَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكَكَ وَغَدَوْتَ آمِراً عَلَيْهِ . وَكَانَ أَحَدُ مُصَدِّقِيهِ إِذَا تَوَجَّهَ بِوَرَقَةِ الزَّيْتُونِ إِلَىٰ البَلْدَةِ التِي ذَكَرَهَا لَهُ المَهْدِيُّ الدَّجَّالُ ، يَقُولُ لأَمِيرِهَا عَنْ ثِقَةٍ : إِنَّ الإِمَامَ المَهْدِيَّ قَدْ أَعْطَانِي هٰذِهِ البَلْدَةِ لِتَكُونَ تَحْتَ إِمْرَتِي فَيَقُولُ لَهُ : أَيْنَ الأَمْرُ ؟ فَيُخْرِجُ لَهُ وَرَقَةَ الزَّيْتُونِ ، فَمَايَكُونُ جَزَاؤُهُ إِلاَّ الضَّرْبُ وَالحَبْسُ .

وَلَمَّا اشْتَكَىٰ الكَثِيرُونَ إِلَىٰ المَهْدِيِّ الدَّجَّالِ مِمَّا يَجْرِي لَهُمْ مِنَ الحَبْسِ وَالإِهَانَةِ وَالتَّكْذِيبِ ، قَالَ لِمَجْمُوعِهِمْ خُذُوا سُيُوفَكُمْ وَانْتَصِرُوا لِلحَقِّ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَبْدَؤُوا بِمَدِينَةِ جَبْلَةَ ، فَغَدَرُوهَا وَدَخَلُوهَا وَقْتَ صَلاَةِ الجُمُعَةِ ، فَاقْتَحَمُوا الدُّورَ ، وَهَتَكُوا سِتْرَ الحَرِيمِ ، وَفَرِحُوا بِانْتِصَارَاتِهِمْ ، فَلَمَّا دَرَىٰ رِجَالُ المَدِينَةِ بِمَا جَرَىٰ خَرَجُوا لِلقَائِهِمْ ، فَإِذَا بِهِمْ يَفِرُّون كَالجُرْذَانِ المَذْعُورَةِ ، وَمَازَالُوا يَتْبَعُونَهُمْ حَتَّىٰ قَتَلُوا مِنْهُمْ المِئَاتِ وَالأُلُوفَ وَانْدَحَرُوا شَرَّ انْدِحَارٍ ، أَمَّا مَهْدِيُّهُمُ الضَّالُّ الدَّجَّالُ فَقَدْ تَمَكَّنَ مِنَ الفِرَارِ . فَلَمَّا طَلَبَهُ أَمِيرُ اللاذِقِيَّةِ ، وَأَمِيرُ الأُمَرَاءِ بِطَرَابُلُسَ لَمْ يُعْثَرْ لَهُ عَلَىٰ أَثَرٍ ، وَتَحَصَّنَ بَقِيَّةُ الفَارِّينَ بِالجِبَالِ وَبَعَثُوا وُفُوداً مِنْهُم

يُعْلِنُون تَوْبَتَهُمْ ، وَيُكَفِّرُونَ المَهْدِيَّ الدَّجَّالَ وَيَعِدُونَ بِالبَحْثِ عَنْهُ لِتَسْلِيمِهِ لأَحَدِ الأَمِيرَيْنِ فِي اللاذِقِيَّةِ أَوْ طَرَابُلُسَ لِيَلْقَىٰ جَزَاءَهُ العَادِلَ بِالحُكْمِ عَلَيْهِ بِالمَوْتِ .

وَكَانَ الخَبَرُ قَدْ طُيِّرَ بِهِ الحَمَامُ الزَّاجِلُ إِلَىٰ المَلِكِ النَّاصِرِ فِي مِصْرَ ، وَصَدَرَ جَوَابُهُ بِأَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهِمْ بِالسُّيُوفِ حَتَّىٰ يُبَادُوا عَنْ آخِرِهِم ، لَكِنَّ أَمِيرَ الأُمَرَاءِ بِطَرَابُلُس رَاجَعَهُ فِي أَمْرِهِمْ ، وَقَالَ لَهُ : يَامَوْلاَيَ ، إِنَّهُم مِنَ المُضَلَّلِينَ الذِينَ عَادُوا تَائِبِينَ ، وَهُمْ عُمَّالُ المُسْلِمِينَ فِي حِرَاثَةِ الأَرْضِ ، وَإِذَا قُتِلُوا ضَعُفَ المُسْلِمُونَ لِشِدَّةِ حَاجَتِهِمْ إِلَىٰ ثَمَرَاتِ أَرَاضِيهِمْ وَنَتَاجِ غَلاَّتِهِمْ ، فَرَجَعَ المَلِكُ النَّاصِرُ عَنْ قَرَارِهِ السَّابِقِ بِإِبَادَتِهِمْ وَأَمَرَ بِالإِبْقَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَبِالإِكْثَارِ مِنْ بِنَاءِ المَسَاجِدِ فِي مَرَابِعِهِمْ .

أَمَّا المَهْدِيُّ الدَّجَّالُ فَقَدْ هَتَكَ اللهُ سَتْرَهُ وَمَسَخَ وَجْهَهُ رُوَيْداً رُوَيْداً إِلَىٰ وَجْهِ قِرْدٍ ، فَقُبِضَ عَلَيْهِ ، وَأُسْلِمَ إِلَىٰ صَاحِبِ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِي مَدِينَةِ جَبْلَةَ ، وَاجْتَمَعَ أَمْرُ الفُقَهَاءِ المُسْلِمِينَ وَالقُضَاةِ وَالوَالِي عَلَىٰ إِنْزَالِ عُقُوبَةِ

المَوْتِ بِهِ بِلاَ إِبْطَاءٍ ، فَأُعْدِمَ خَنْقاً أَمَامَ عُيُونِ المُحْتَشِدِينَ عَلَىٰ بَابِ جَامِعِ جَبْلَةَ ، وَتَمَّ أَمْرُ اللهِ ، لِتَظَلَّ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فِي حَادِثٍ عَجِيبٍ لاَ يُنْسَىٰ . .

قَالَ السُّلْطَانُ أَبُو عِنَانٍ المَرِينِيُّ الفَاسِيُّ لِمُحَدِّثِهِ الرَّحَّالَةِ الأَمِينِ أَبِي عَبْدِ اللهِ شَمْسِ الدِّينِ ابْنِ بَطُّوطَةَ .

ـ لاَ فُضَّ فُوكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ . . حَقاً إِنَّهُ حَادِثٌ عَجِيبٌ لاَ يُنْسَىٰ ، وَفِيهِ كُلُّ مَوْعِظَةٍ وَعِبْرَةٍ . .

طَوَىٰ الكَاتِبُ مُحَمَّدُ بْنُ جُزَيٍّ سِجِلَّ الكِتَابَةِ ، فَقَالَ لَهُ السُّلْطَانُ أَبُو عِنَانٍ :

ـ لِمَاذَا طَوَيْتَ سِجِلَّ الكِتَابَةِ يَا ابْنَ جُزَيٍّ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكَ ؟ !

أَجَابَ ابْنُ جُزَيٍّ الكَاتِبُ :

ـ لَيْسَ بَعْدَ حِكَايَةِ المَهْدِيِّ الدَّجَّالِ مَا يَزِيدُ عَنْهَا إِثَارَةً لِلعَجَبِ . .

قَالَ السُّلْطَانُ أَبُو عِنَانٍ :

ـ صَـدَقْـتَ يَـا بْـنَ جُـزَيٍّ ، لَيْـسَ بَعْـدَهَـا قِصَّـةٌ تُثِيـرُ العَجَـبَ ، وَلا الإِعْجَابَ ، بَارَكَ الله فِيكُمَا مُحَدِّثاً وَكَاتِباً ، وَإِلَىٰ اللقَاءِ فِي لَيْلَةٍ قَادِمَةٍ لِيُحَدِّثُنَا ابْنُ بَطُّوطَةَ بِالمَزِيدِ مِنَ العَجِيبِ وَالمُعْجِبِ . .

☆☆ ☆☆ ☆☆

☆☆ ☆☆

☆